الطيب بين السنَّة والعلم الحديث

بقلم/ الدكتور يحيى بن عبد الله البكري الشهري
(رئيس قسم الدراسات الإسلاميَّة بالكلية)
والدكتور صلاح النعيم محمد التوم
(قسم العلوم بالكليَّة –شعبة الكيمياء-)

الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . أما بعد : فهذا بحثٌ مختصرٌ في الطيب : (تعريفه ــ فضائله ــ كراهية رده ــ نشأته ومكوناته ــ آداب ومواطن استعماله).

تعريفه : الطيب في اللغة: (الطاء والباء) أصلٌ واحدٌ يدلُّ على خلاف الخبيث[١]، يُقال : طاب الشيء يطيبُ طِيبةً وتَطيابًا . قال علقمة:

يحمِلن أُترجَّةً نضْحُ العبير بها **** كأن تطيابَها في الأنف مشمومِ

والعطر اسم جامع للطيب، والجمع عطور. والعطَّار بائعه. وحرفته العطارة . ورجل عاطر عَطِر ومعطر ومِعْطار : أي مُحبٌّ للطِّيب . وعطِرت المرأة (بالكسر) تعطر عطرًا : تطيبت[٢] .

والمقصود بالطيب أو العطر:كل مادة متطايرة تفوح شذىً أو عبيرًا في درجات الحرارة العادية .

وكلمة العطور Perfumes من اللاتينية *Perfumum* وهي تعني عن طريق الدخان . وذلك ناتج عن طريقة استعمال العطور منذ سالف الزمان .

فضائل الطيب :

(١) ــ أنه من ألذ المحبوبات إلى النبي ﷺ ، فقد قال ﷺ : " حُبِّب إليَّ من الدُّنيا النساءُ والطيبُ، وجُعلت قرَّة عيني في الصَّلاة "[٣]. قال ابن القيم : ((لما

كــانت الــرائحة الطيــبة غذاء الروح ، والروح مطيةُ القوى ، والقوى تزداد بالطيب ، وهو ينفع الدماغ والقلب، وسائر الأعضاء الباطنية، ويُفرح القلب ، ويسرُّ النفس، ويبسُط الروح، وهو أصدق شيءٍ للروح، وأشدُّ مُلاءمةً لها، وبينه وبــين الروح الطيبة نسبة قريبة، كان أحد المحبوبين من الدُّنيا إلى أطيب الطَّيبين صلوات الله عليه وسلامه))[٤] .

(٢) ــ أنــه من سُنن المُرسلين ومنهم نبينا محمد ﷺ . فقد روي عنه ﷺ أنه قال : "أربع من سن المرسلين : التعطر، والحياءُ، والنكاح، والسِّواك"[٥].

وقد كان ﷺ يُداوم على استخدام الطيب بأنواعه المُختلفة. فعن أنس رضي الله عنه قال: كانت للنبي ﷺ سُكَّة يتطيب منها [٦] .

وكــان ﷺ يتطيب بأطيب ما يجد. فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كنت أطيب رسول الله ﷺ بأطيب ما يجد حتى أجد وبيص الطيب في رأسه ولحيته [٧] .

وقد كان ﷺ يُحب المسك ويقول: " المسك أطيب الطيب"[٨] .

وكان ربما استجمر بالألوَّة وهي العود، فعن نافع مولى ابن عمر قال: كان ابن عُمر إذا استجمر استجمر بالأُلوَّة ، غير مُطراة ، وبكافور يطرحه مع الأُلوَّة، ثم قال: هكذا كان يستجمرُ رسول الله ﷺ [٩] .

(٣) ــ أنَّ الطيب مما تحبه الملائكة وتنفر منه الشَّياطين. يقول العلامة ابن القيم : ((وفي الطيــب من الخاصية أن الملائكة تحبه والشياطين تنفر عنه، وأحب شيءٍ إلى الشــياطين الــرائحة المُنتنة الكريهة، فالأرواح الطيبة تُحبُّ الرائحة الخبيثة،

وكـــلُّ روحٍ تميـــلُ إلى ما يُناسبُها، فالخبيثاتُ للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، والطيباتُ للطيبين والطيبون للطيبات، وهذا وإن كان في النساء والرجال، فإنه يتناولُ الأعمال، والأقوال، والمطاعم، والمشارب، والملابس، والروائح إمَّا بعموم لفظه، أو بعموم معناه)) [١٠].

(٤) ـــ أن التطيب يعدُّ من الخصال الكريمة التي تدلُّ على النُّبل، ولا تتمُّ مروءة الرجل حتى يكون ذا رائحة حسنة.

(٥) ـــ أنَّه يُدخل السرور والأنس على المجالس، ويسرُّ به كل من لاقاه أو ناجاه.

(٦) ـــ أنـــه يبعث في النفس الحيوية والنشاط، لأن من طبيعة النفس الطيبة أنها تحسُّ بالنشوة والتلذذ بالروائح الجميلة.

كراهية رد الطيب: كان النبي ﷺ لا يردُّ الهدية، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب[١١]، وفي رواية: ما عُرض على رسول الله ﷺ طيبٌ قطُّ فردَّه [١٢] .

وعـــن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، قال: "من عُرض عليه طيبٌ ، فلا يردُّه ؛ فإنه طيِّبُ الريح خفيف المحمل" [١٣] .

قـــال ابن العربي : ((إنما كان لا يردُّ الطيب ؛ لمحبته فيه، ولحاجته إليه أكثر من غيره ؛ لأنه يُناجي مَنْ لا نُناجي)) [١٤] .

نشـــأة الطيب ومكوناته : عرف الإنسان الطيب منذ فترة طويلة من التاريخ، الفيـــنيقيون وقدماء المصريون استعملوا العطور وإن اقتصر ذلك على الكهنة في المعـــابد وعـــلى الملوك ، ثم انتقلت منهم هذه الممارسة إلى الحضارة اليونانية

والـــرومانية . كمـــا عرف العرب العطور خاصة بعد ازدهار حركة الترجمة في الحضـــارة الإسلامية في العصر العباسي إذ انتقل هذا الإرث إلى العرب فانتشرت محلات العطارين في بغداد التي تبيع العطر بأنواعه للتطيب والعلاج أيضاً . ونبغ منهم يعقوب بن إسحاق الكندي الذي ألف كتابا في "كيمياء العطور وطريقة تقطيرهـــا"[٢] . ومازالت توليفات العطور التي قام بوصفها تحمل سحراً خاصًّا ، وجهازه المســـتعمل في التقطير يحمل نفـــس فكرة الأجهزة الحالية المستعملة في الـــتقطير ؛ إذ كان استعمال الطيب في العصور الغابرة يقتصر على عطن (وضع المادة التي تحتوي على العطر) في الماء أو الزيت، ومن بعد ذلك يستعمل الماء أو الزيت على هيئة بلسم لدهن الجسم أو الاستحمام بمائه، أو يحرق الجزء المحتوي على العطر وتتصاعد المادة العطرية مع الدخان خاصة في أماكن العبادة.

و لم تعرف أوروبا الحديثة العطور إلا بعد الحروب الصليبية، وبعد ذلك بعدة قرون ظهرت صناعة العطور كحرفة وزراعة، ساعد على ذلك اعتدال الطقس والأمطـــار خاصة في مناطق جنوب فرنسا ، وبالتالي ازدهار صناعة العطور في تلك البلاد[٣] .

والعطورهـــي عبارة عن زيوت طيارة ذات روائح ذكية تستعمل على الجسم كطيب أو تضاف إلى الطعام كمنكهات أو إلى الأدوية لإخفاء روائح غير مقبولة[٣] . أمَّـــا مصدر تلك العطور، فهو النبات أو الحيوان، ولعل المصدر النباتي هو الأكثر عددًا .

وتنتمي هذه المركبات العطرية إلى عدة فئات :-

(١) **التربيـــنات** : التي تُشكِّل عدداً كبيراً من المركّبات الكيميائيَّة في المملكة النـــباتيَّة ، وتُمثّل بأنواع متعددة تصل أعداد ذرات الكربون فيها إلى أربعين ،

وهـــي تحـــتوي على ثمانية وحدات ايســـوبرين -مركب يحتوي على (C_5H_8) -.
فـــالأنواع الـــتي تشكل المركبات العطرة من هذه التربينات تقتصر على تلك المحتوية على عشرة وخمسة عشر ذرة من الكربون فقط (C_{10} ، C_{15}) .

(٢) **المركبات الآروماتية** : التي تتشكَّل من حلقة بترين متصلة بثلاثة ذرات من الكربون، تعرف هذه المركبات بـِ بربونيد الفنيل (Phenyl propanoids).

أما المواد العطرية ذات الأصل الحيواني فهي حلقات هيدروكربونية تتألف من خمسة عشر أو سبعة عشر ذرة كربون .

وتعتبر المركبات الآروماتية أكثر هذه الأنواع التي تم اصطناعها في المعمل محاكاة لتلك التي توجد منها في الطبيعة، وهذا ناتج من بساطة تركيبها الكيمائي[٤] .

ســـاعد هـــذا في زيادة أعداد تلك المركبات زهيدة الثمن ، وجعل العطر والمنتجات التجميلية المختلفة مبذولةً للجميع، و لم تَعُد ترفاً أو حكراً على الأغنياء فحسب. وما وجود أعداد كبيرة من الصابون المعطر والمنظفات المختلفة الأخرى في حياتـــنا اليومية إلا دليل على ذلك . زد على ذلك منكهات الأطعمة والأدوية التي لا يكاد يخلو منها طعام أو شراب مُصَنَّع. وإن كان هذا النسق الأخير قد قلَّل مـــن جودة هذه المركبات في مضاهاتها للطبيعية منها، لأنها تفتقر لدرجة النقاء الآيســـوميري Enantio pure ، حيث إنَّ المركب الآيسومري يحمل ذرات أو مجموعـــات متشابهة ولكنها تختلف في طريقة ترتيبها في الفراغ؛ إذ توجد هذه المركبات غالباً في الطبيعة على هيئة فرد واحد Single enantiomer ، بينما تلك الـــتي تصنع في المعمل تكون على هيئة زوج Two enantiomers . وفَصْـــلُ هذه المركبات عن بعضها البعض في كثير من الأحوال غير ممكن أو مكلف مـــن الناحية الاقتصادية .

الزيوت العطرية النباتية :-

الزيوت العطرية منتشرة في حوالي ٦٠ فصيلة نباتية تحتها حوالي ٣٠٠٠ نوع . وكل زيت عطري عبارة عن خليط من المركبات الكيميائية المعقدة ، وهي سهلة التأثر بالحرارة والأوكسجين مما يؤدي إلى تكسرها وتلفها وبالتالي تتغير رائحتها تبعاً لذلك. وتنضوي تحت فئتين أساسيتين هما، التربينات (الأحادية والسيسكوتربينات) والمركبات الآروماتية .

أهم العوائل النباتية التي تحتوي علي الزيوت العطرية [٥]

العائلة النباتية	النبات العطري
(١) *Compositae* ;	Chamomile , البابونج
(٢) *Umbliferae* ;	Fennel, Anise , Corriander, Carway. الشمر ، اليانسون ، الكزبرة ، الكروية
(٣) *Labiatae* ;	Peppermint , Lavender . النعناع ، اللآفندر
(٤) *Lauraceae* ;	Camphor , Cinnamon . الكافور ، القرفة
(٥) *Myrtaceae* ;	Clove , Eucalyptus . القرنفل ، الإيكولبتس
(٦) *Rutaceae* ;	Orange , Lemon البرتقال ، والليمون
(٧) *Rosaceae* ;	Roses . الورد

أمثلة لأنواع المركبات الكيميائية العطرة ومصادرها المختلفة [٥]

المركب العطري		المصدر
نير ول	Nerol	قشر البرتقال والليمون
منثول	Menthol	أوراق النعناع والريحان
ميرستاثين	Myristicin	ثمرة جوز الطيب
سترال	Citral	حشيشة الليمون
انيثول	Anethol	ثمرة اليانسون
كامفور	Camphor	أوراق الكافور
سترونليول	Citronelol	زهور الورد
جرانايوم	Geraniol	أوراق حشيشة الجرانيوم
سنيولي	Cineole	زهرة اللآفندر
لنالول	Linalol	زنبق الوادي
باينين	Pinene	أوراق الصنوبر والسنديان
ثايمول	Thymol	أوراق الزعتر
إيجنول	Eugenol	ثمرة القرنفل
سينمون	Cinnamon	لحاء شجرة القرفة

هـــذه القائمة تمثل جزءاً من عدد كبير من المركبات التي تزخر بها المملكة النـــباتية ولكـــن تبقى حقيقة أن هذه الزيوت العطرية موجودة في هذه المصادر النباتية بكميات قليلة ، وهذا الذي يؤدي إلى ارتفاع أثمانها .

وتعتبر أول الخطوات لتحضير العطر هي عملية الاستخلاص للزيت العطري من المصدر والتي تتنوع حسب نوع العطر ومكان وجوده في النبات[٣] .

(١) الاستخلاص بواسطة الماء أو البخار وذلك لخاصية الزيت العطري الذي يتطاير مـــع تصاعد البخار ومروره من أجزاء النبات المحتوية على العطر ، وتستعمل للزيوت التي لا تتأثر بالحرارة ، مثل زيت الريحان والنعناع .

(٢) الاســـتخلاص بواســـطة المذيبات العضوية ، لمقدرة هذه المذيبات على إذابة الـــزيت العطـــري ، وهي طريقة مكلفة ولكنها تنتج زيوت عطرية عالية الجودة وتستعمل في الزيوت التي توجد في النبات بكميات ضئيلة، مثل زيت الياسمين. كل واحد كيلوجرام يعطي بهذه الطريقة نصف جرام فقط من الزيت النقي .

(٣) الوخـــز بالإبر وبالضغط الميكانيكي وتستعمل في استخلاص الزيوت من غدد زيتية خاصة مثل الموجودة في لب البرتقال والليمون .

(٤) الاستخلاص بواسطة الغليان مع الكحول الذي يمكن أن يتخلص منه بواسطة التبخير تحت ضغط منخفض حتى لا يتأثر الزيت العطري بالحرارة ، وقد يستخدم الزيت العطري . وهو مخفف بالكحول كما هو الحال في الكولونيا وماء التواليت، مـــثل زيـــت الـــبابونج واللافندر . وهناك عمليَّة الغلي أو النقع مع الكحول وتستعمل مع الزيوت ذات الأصل الحيواني مثل العنبر والمسك.

وبعد استخلاص الزيت العطري الذي دائماً ما يكون خليطا من عدد كبير من المركبات المتشابهة التي لا يمكن فصلها إلا بواسطة أجهزة الفصل اللوني، (مثل كروماتوغـــراف الغاز) ، وفي هذا الخليط يكون مركب واحد منها غالباً وهو الذي يعطي الزيت العطري في ذلك النبات رائحته المميزة .

وقـــد تمَّت الإفاده من هذه الخاصية في إنتاج هذه المركبات في المعمل ، وتعتبر هـــذه الخطـــوة هي التي ساعدت في الحصول على عطور زهيدة الثمن ، والتي تستعمل غالباً في صناعة الصابون والشامبوهات وعدد من مستحضرات التجميل ؛

مــثل مركبات، الكافور، الإيجينول والسترال التي تعطي روائح الكافور والقرنفل وحشيشة الليمون على التتالي [٣].

وتوجــد الزيوت العطرية في أجزاء مختلفة من النبات ، فمثلا يمكن أن توجد في الزهرة مثل ، الياسمين والورد . أو الورق مثل النعناع والريحان . أو البذور، مثل الحــبهان . أو الــثمار مــثل اليانسون والقرنفل . أو اللحاء ، مثل القرفة . أو الخشب ، مثل الصندل . أو الجذور الزاحفة ، مثل الكركم والزنجبيل .

وتعــتمد طــريقة الاستخلاص على حالة النبات عند الجمع ؛ فإن كانت المادة العطــريَّة تتطاير عند تجفيف النبات ، يستخلص النبات وهو غضّ ؛ مثل الورق والزهرة . و إن كانت المادة العطرية موجودة في اللحاء أو الخشب أو الجذور ، فيُمكن أن تستخلص المادة العطرية من النبات الجاف .

الزيوت العطرية الحيوانية :

تعتبر الزيوت العطرية المستخلصة من أصل حيواني هي الأقل عدداً ولكنها الأعلى قيمة ، ولها عبق وشذى يفوق العطور النباتية [٣].

وتعتــبر الزيوت العطرية الحيوانية أقل تطايراً، لذلك -إضافة إلى الاستفادة من رائحتها الطيبة- تساعد في تثبيت العطر لأطول فترة ممكنة .

ولمــا كانت مصادر هذه العطور تهدد وجود تلك الحيوانات النادرة أصلاً لذلك تمت حماية تلك الحيوانات بواسطة قوانين حماية دولية خوفا من انقراضها .

وتم الاستعاضــة عــن ذلك باصطناع تلك المركبات في المعمل بعد أن تم التعرف على تركيبها الكيمائي [٦].

وهــذه المركبات من الناحية الكيمائية هي هيدروكربونات حلقية تحتوي علي ١٥ أو ١٧ ذرة من الكربون . وهي تشابه أريج العطر الطبيعي ولكنها أقل منها قوة . ويمكن تصنيف بعض هذه العطور على النحو الآتي :

(١) **العنبر** :- توجد مادة العنبر في أحشاء الحيتان المعروفة بـِ Sperm whale المسمية بِـ Physeter catodon، أو تلفظها تلك الحيوانات العظيمة عـلى شواطئ المحيطات . ومادة العنبر تتكون في أحشاء تلك الحيوانات نتيجة لتغذيتها على بعض الأسماك (Crustaceans) التي تعمل على تخرش جدران أمعاء هذه الحيتان ومن ثم تنشأ طبقة شحميه غنية بالكوليسترول ، ومادة شمعية هي الـتي تحتوي على مادة العنبر . وتلفظ هذه المواد علىشكل كرة القدم وعند الشـواطئ تجمع هذه الكرات التي تتحول إلى اللون البني ولها رائحة عطرية ، هي رائحة عطر العنبر .

وقـد وجـد أن المـادة الـتي تعطي العنبر رائحته المميزة هي مركب هيدروكربوني حلقي يُسمَّى Ambergris وقد تم اصطناع عدد كبير من شبيهات هـذه المركـبات في المعمل وهي ذات روائح شبيهة برائحة العنبر الطبيعي منها مركب Ambrox [٧] .

(٢) **المسك** : وهو مادة كيمائية تنتمي إلى الفيرمونات، تنبعث من ذكور الوعل الـبري المعـروف بِـ Muskdeer، والفيرمونات عبارة عن مواد هرمونية تبعـثها بعـض الحيوانات لجذب أفرادها أو لتحديد المناطق التي تعيش فيها كقطيـع ، كنوع من الحماية لأفرادها . والمادة التي تكسب المسك الرائحة المعـروفة ، هي مادة المسكون . وهي مركب هيدروكربوني حلقي يحتوي عـلى ١٥ ذرة كربون . وقد تم اصطناع هذا المركب في المعمل ، ويستعمل هـذا المركب عوضاً عن المركب الطبيعي . وقد تم أيضا إيجاد مصادر أخرى

للمســـك مثل فأر المسك، وبذور نباتية وجد أنها تحتوي على المسك اسمها بذرة المسك .

(٣) **السفيت** : تفرز فيرمونات خاصة من ذكر القط الأفريقي والآسيوي المعروف بـــــ Civet واسمهـــا اللاتيني Viverra Civeta Or Viverra Zibetha وذلـــك لجذب أفرادها ، وهي مادة لها رائحة غير مقبولة ، ولكن عند عزل المادة الفعالة وهي مركب السفيتون وجد لها رائحة عطرية مميزة عند استعمالها في تركيـــز خفيـــف جداً . ولما كان الحصول على هذه المادة من مصدرها الطبيعي يؤثر على نفوق هذا الحيوان المهدد بالانقراض أصلا، فقد تم اصطناع الســـفيتون في المعمل بعد معرفة تركيبه الكيميائي، وهو مركب هيدروكربوني حـــلقي يحتوي على ١٧ ذرة كربون. ويستعمل السفيتون بالإضافة إلى رائحته القويـــة كمثـــبت للعطر النباتي . لذلك لا يخلو عطر من العطور القيِّمة من واحد أو أكثر من هذه العطور الحيوانية المذكورة .

طريقة تركيب العطور :

تخلط الزيوت العطرية مع بعضها للحصول على الرائحة المميزة المقبولة ، وتتم هـــذه العملية بعد جهود مضنية من المحاولات المتكررة . وهذه العملية يمكن أن تـــتم عـــلى أي مستوي من المعرفة، ولذلك كان العطارون ومازالوا أصحاب مقدرة على توليف عطور مميزة، ولعل ما كتبه ابن إسحاق الكندي يؤيد ذلك[٢] .

والنقطة المهمة في ذلك هي أن رائحة الزيت العطري الواحد تعتبر غير محببة ودائماً ما يكون العطر الخليط أقوى شذى وأعمق رائحة من العطر المركـب من مصدر واحد ، لذلك تخلط أنواع كثيرة من الزيوت العطرية –تصل إلى عشرات

أو مـــئات- للحصول على عطر مميز . مع مراعاة أنّه مِمّا يميز أي عطر ثلاثة من الروائح الخاصة التي تعرف بالنوتة ° ، Notes، وتمثل كل نوتة بعدد من الزيوت العطرية المختلفة ، وذلك اصطلاح معروف وسط صانعي العطور إذ يقوم الخبراء بالبحث عن مئات الروائح المنبعثة ذات الأصول المختلفة ، وبواسطة حاسة الشم فقط في اختيار النوتة المحددة بعمليات الموا لفة المتكررة ، حتى يمكن الوصول إلى العطر المميز والمتفرد .

(أ) الـــنوتة العليا، Top Note، وهي التي تميز العطر وتعطيه رائحته التي تُشَمّ من أول وهلة ، وهي تنتهي بسرعة، بين ٥ –١٠ دقائق، وتمثل بزيوت مثل زيت الجبهان ، الريحان ، الليمون ، و النعناع ، والزنجبيل .

(ب) الـــنوتة الوسطى Medium Note وهي التي تعطي الرائحة الغالبة في العطر ، وتستمر رائحتها إلى عدة ســـاعات وتمثل بزيوت العنبر ، البابونج ، القرفة ، القرنفل ، وإكليل الجبل ، والورد .

(ج) الـــنوتة الأساس، Base Note ، وهي التي يعطي العطر عمقه وعبقة الطويل ويمثل بعطور اليانسون، اللآفندر، الياسمين، والصندل، ولبان البخور.

لذلك يعتبر العطر خليطاً فريداً من هذه النوت الثلاثة ، تؤلف مع بعضها للحصول على عطر له شذى مميز ومتناغم .

وعمومـــاً عـــند الفراغ من هذه التوليفة وجد أن العطر ينتمي إلى إحدى المجموعات الآتية :

(١)عبق التوابل ، Spicy (٢)عبق التبغ ، Tobacco (٣) عبق الخشب ، Woody، (٤) عبق الحمضيات Citrus، (٥) الوردي، Rosy. (٦) الشرقي، Oriental (٧) الحزازي ، Mossy .

وبعض هذه الروائح المميزة تكون حدًّا فاصلاً بين عطر الرجل والمرأة ، إذ عند صناعة العطر للمرأة يُختار لها عبق الزهور والورود، بينما عطر الرجل يتميز بعبق التبغ (Tabacco) مثل عطر الباتشول،Pogostem n cablin .

ويعتبر المسك عاملاً مشتركاً لأكثر من ٩٠ % من العطور التي تطرح في الأسواق .

ولما كان العطر النقي غالي الثمن ورائحته أقوى مما يجب فلابد من استعمال العطر بتركيز قليل ، ولتخفيف المادة العطرية نستعمل سوائل تسمى حامل العطر، وهي عبارة عن زيوت لها صفات محددة وتتميز بأنها لاتحمل رائحة في حد ذاتها، ولاتتأكسد بسهولة حتى لا تتحول إلى مواد لها روائح غير مقبولة، ولا تتأثر عند خلطها بالعطور، فيراعى التوالف الهيدروجيني والصفات الفيزيائية الأخرى لخليط العطور والمواد الحاملة.

وهذه الزيوت مثل زيت اللوز الحلو ، زيت المشمش ، زيت بذرة الجريب فروت ، قشرة الخوخ ، زيت السمسم ، فول الصويا ، زيت زهرة الشمس .

وأن يراعى عدم تأثيره على الجلد ، ولا سيما الجلد الحساس لبعض الزيوت مثل فول الصويا .

ويستعمل أيضاً الكحول الإثيلي للمساعدة في تطاير العطر ، وفي التخفيف أيضاً .

ولذلك يقسم العطر إلى ثلاثة أنواع من العطور بناء على نسبة العطر والمواد المخففة فيه . فمثلاً : العطر البارفان يحتوي على ٢٥% من الزيت العطري .
العطر الكولونيا يحتوي على ١٠% من الزيت العطري .
ماء العطر أو التواليت يحتوي علي ٥% من الزيت العطري .

وقـــد اشتهر قديماً استعمال ماء العطر وهو يمثل السوائل المتبقية من عملية التقطير، وهي تحتوي على نسب أقل من هذه النسب المذكورة، مثل ماء الورد. ولأن العطـــر دائماً يكون غالي الثمن فلابد من وسيلة لابقائه أطول فترة ممكنة فتضـــاف مادة تعرف بالمثبت ، ولحسن الحظ فإن هذه المواد تمثل النوتة الأساس للعطر ، وتمثل بعطر العنبر والسفيت والمسك .

وتعتـــبر عملية صناعة العطور عملية مكلفة من الناحية الاقتصادية فالنباتات العطـــرية تنتج كميات قليلة من الزيت العطري ، إذ يعطي حوالي ١٠٠٠ رطل من الزهور نصف رطل فقط من الزيت العطري النقي . وهذا الزيت نفسه معرض للتـــلف عـــند عملية الاستخلاص ، وعلى الرغم من ذلك تعتبر زراعة النباتات العطـــرية ذات مردود اقتصادي جيد فهناك دول تعتمد في اقتصادها على تصدير هذه الزيوت العطرية ، مثل تركيا وبلغاريا ، وجزيرة مدغشقر .

وازدهرت دول أخرى مثل فرنسا بصناعة العطور، فمناطق في فرنسا مثل "الــريفيرا" و"كآن"، تزرع فيها النباتات العطرية مثل زنبق الوادي وإكليل الجبل مــنذ فترة طويلة. وتدر هذه الصناعة عالميًا حوالي ٦مليارات من الدولارات سنويًّا. تستأثر الشركات الفرنسية بالنصيب الأكبر، يلي ذلك الشركات الأمريكية [٨].

وعملية إنتاج عطر جديد ومميز يكلف حوالي ٣ مليون دولار يذهب جلها في الدعايــة واختيار الاسم والتغليف والزجاجة المناسبة للعطر في عملية تسمى عملية الظل[٩].

وعند استعمال العطر في الجسم يتم التركيز على المناطق التي يتميز فيها الدم بالجريان بسرعة أكبر، ذلك يساعد في قوة تطاير العطر لارتفاع درجات الحرارة في تلك المناطق مقارنة بأجزاء الجسم الأخرى، مثل منطقة خلف الأذنين ، وعند قاعدة العنق، وعند المعصم ، وخلف الكوع ، وخلف الركبة .

وتــركب العطور لتبقي حوالي أربع ساعات بعد التعطر بها ، ولكن ذلك يعــتمد عــلى عدة أشياء منها العمر وطبيعة وكيمياء الجلد ، ونوع التغذية . ويمكن أن يقوى العطر باستعماله مع الصابون المعطر أو ماء العطر عند الغسيل .

والعطــر أيضاً يتأثر بالحرارة والضوء والأوكسجين، ويمكن أن يحتفظ بعبيره الأصلي لمدة ثلاث سنوات إذا تم تجنب هذه العوامل المذكورة . لذلك يفضل أن يحفــظ العطــر في زجاجات معتمة لتقليل وصول الضوء إليه ، وفي زجاجات محكمة الغلق لمنع الأوكسجين ، وفي مكان بارد أيضاً .

ويعتـــبر المزاج والرغبة الشخصية عاملاً حاسماً في اختيار العطر المناسب من دون غيره، لأن أعصاب الشم تميز سبعة روائح أساسية هي : الكافور، المسك ، النعناع، الرائحة الأثيرية ، الحريفة اللاذعة ، الزهرية والرائحة العفنة .

أما عطور الروائح التي هي خليط معقد من هذه الأنواع فتزيد الأمر تعقيداً، إذ أن حاسة الشم تختلف من شخص إلى آخر، كما تدخل العوامل البيئية المختلفة في التأثير على اختيار البعض لعطر دون غيره من العطور الكثيرة الأخرى .

آداب ومواطن استعمال الطيب :

للطيب أوقات ومواطن يُستحب استعماله لها، فمنها ماله تعلق بالإنسان، ومنها ما له تعلق بالمكان. ومن هذه الآداب ما يلي :

١ ـــ الـــتطيب لصلاة الجمعة. حيث ورد في ذلك أحاديث منها عن أبي سعيد الخـــدري ﷺ قـــال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: "الغُسل يوم الجمعة واجب على كلِّ مُحتلم، وأن يستنَّ ، وأن يمسَّ طيبًا أن وجد"(١٥) .

وفي رواية : "ولو من طيب المرأة" (١٦) .

وعـــن سلمان الفارسي ﷺ قال: قال النبي ﷺ : "لا يغتسل رجلٌ يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر، ويدَّهن من دهنه، أو يمسَّ من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرِّق بين اثنين، ثم يصلي ما كُتب له، ثم يُنصت إذا تكلَّم الإمام إلا غُفر له ما بينه وبين الجُمعة الأُخرى"(١٧) .

٢ ـــ التطيب للأحرام في الحج وعند الحل. فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: كنت أطيب رسول الله ﷺ عند إحرامه بأطيب ما أجد (١٨) .

وفي روايـــة عنها قالت: كنت أطيب رسول الله ﷺ لإحرامه حين يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت (١٩) .

٣ ــ تطيـــب المـــرأة عند الاغتسال من الحيض. لما رُوِيَ عن عائشة أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من المحيض فأمرها كيف تغتسل قال :خذي فرصة من مسك فتطهري بها . قالت كيف أتطهر ؟قال : تطهري بها. قالت : كيف ؟ قال: سبحان الله تطهري . فاجتبذتها إلي فقلت : تتبعي بها أثر الدم(٢٠) .

٤ ــ تطييـــب الميت غير المحرم (٢١) . فعن أم عطية الأنصارية (رضي الله عنها) قـــالت دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته فقال اغسلنها ثلاثاً أو خمساً أو أكـــثر من ذلك إن رأيتن ذلك بماء وسدر واجعلن في الآخرة كافوراً أو شيئاً من كافور فإذا فرغتن فآذنني . فلما فرغنا آذناه فأعطانا حقوه فقال : أشعرنها إياه. تعني إزاره(٢٢) .

وفي حديث لجابر قال: قال رسول الله ﷺ : "إذا جمرتم الميت فأوتروا" (٢٣) .
والمُراد بهذا تبخير أكفانه.

٥ ــ تطييـــب المساجد. لما جاء في حديث طويل لجابرٍ ﷺ قال : أتانا رسول الله ﷺ في مسجدنا هذا وفي يده عرجون من طاب فرأى في قبلة المسجد نخامة فحكهـــا بالعـــرجون ثم أقبل علينا فقال : أيكم يحب أن يعرض الله عنه . قال فخشـــعنا . ثم قـــال : أيكم يحب أن يعرض الله عنه . قال فخشعنا . ثم قال : أيكم يحب أن يعرض الله عنه . قلنا لا أينا يا رسول الله . قال : فإن أحدكم إذا قـــام يصلي فإن الله تبارك وتعالى قِبَل وجهه فلا يبصقن قبل وجهه ولا عن يمينه وليبصق عن يساره تحت رجله اليسرى فإن عجلت به بادرة فليقل بثوبه هكذا .

ثم طوى ثوبه بعضه على بعض فقال: أروني عبيراً . فقام فتى من الحي يشتد إلى أهله فجاء بخلوق في راحته فأخذه رسول الله ﷺ فجعله على رأس العرجون ثم لطخ به على أثر النخامة[٢٤]. قال جابر: فمن هناك جعلتم الخلوق في مساجدكم .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : أمر رسول الله ﷺ ببناء المساجد في الدور وأن تنظف وتطيب[٢٥] .

٦- ومن الآداب الهامة في استخدام الطيب مراعاة النوع . فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه" : حدثنا علي بن حجر أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن الجريري عن أبي نضرة عن الطفاوي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه بمعناه[٢٦] .

قال الترمذي : هذا حديث حسن .

وفي هذا الحديث بيان للفرق بين طيب الرجال، وطيب النساء، فطيب الرجال ماتظهر رائحته، ويخفى لونه، وطيب النساء ما يظهر لونه وتخفى رائحته. ومن هنا نهى النبي ﷺ عن التزعفر كما في حديث أنس[٢٧] ؛ فيكره للمرأة أن تتطيب بما له رائحة ثم تخرج؛ فعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنَّ المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية[٢٨] .

وقد حمل بعض أهل العلم ذلك على الخروج. أما إذا كانت في بيتها فلها أن تطيب بما شاءت. قال سعيد بن أبي عروبة : أُراه قال إنما حملوا قوله في طيب النساء على أنها إذا خرجت، فأما إذا كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت[٢٩] .

وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله ربّ العالمين .

المصادر والمراجع العربية

(١) ــ أبــو داود : سـليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد/ دار الفكر ــ بيروت.

(٢) ــ ابن القيم: شمس الدين محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد/ تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت/ الطبعة الثانية (١٤٠١هـ-١٩٨١هـ).

(٣) ــ ابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (٣٥٤هـ)، صحيح ابن حـبان بترتيب ابن بلبان/ تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ــ بيروت/ الطبعة الثانية (١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م).

(٤) ــ ابن حجر : أحمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري/ تصحيح الشيخ عبدالعزيز بن باز (رحمه الله) / إدارة البحوث العلمية والإفتاء ــ الرياض.

(٥) ــ ابــن خــزيمة : محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة/ تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي/ المكتب الإسلامي ــ بيروت/ (١٣٩٠ــ١٩٧٠).

(٦) ــ ابــن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة / تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت/ الطبعة الأولى (١٤١١هـ ــ ١٩٩١م).

(٧) ــ ابــن مــنظور : جمــال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ)، لسان العرب / تحقيق عبدالكبير محمد حسب الله ، وهاشم الشاذلي، دار المعارف ، القاهرة.

(٨) ــ الألباني: محمد ناصر الدين (١٤٢١هـ)، صحيح سنن النسائي / مكتب التربية العربية لدول الخليج.

(٩) ــ الـبخاري: محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ) ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق د . مصطفى أديب بغا/دار ابن كثير-اليمامة-بيروت/ الطبعة الثانية (١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م).

(١٠) ــ الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٧٩هـ) ، الجامع (سنن الترمذي) / تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون/ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.

(١١) ــ الجوهري : إسماعيل بن حماد (٣٩٣هـ)، الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)/ تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت / ط الرابعة (١٩٩٠م).

(١٢) ــ السـلطان : د. صـالح بن محمد، الطيب وأثره في الأحكام/ دار أصداء المجتمع ــ بريدة / الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ).

(١٣) ـــ النســـائي: أحمـــد بـــن شعيب أبو عبد الرحمن (٣٠٣هـــ)، المجتبى (سنن النسائي الصغرى) / تحقيق عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية في حلب/ الطبعة الثانية / (١٤٠٦ – ١٩٨٦) .

(١٤) ـــ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٦١هـــ) . صحيح مسلم / تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي ـــ بيروت .

المصادر والمراجع الإنجليزية

١- Yaqub Ibn Ishag alkindi , The Chemistry , K. Garver, Leipzig, of Perfumed, 1948 .

وهذا كتاب عربي بعنوان (كيمياء العطور وطرق تقطيرها) ليعقوب بن إسحاق الكندي، مترجم (الإنجليزية) .

٢- Simon , J. E. Essential Oils and Culinary herbs, 1990, P 427-483 .

٣- Ames , G . R . and W. S. A . Mathews, The distillation of essential oils , Perfumes and Essential oil recovery, 1969 .

٤- W . A > Poucher , Perfumes , Cosmotics and Soaps , Volume 3 , 1992 , Kluer Academic Publishers, Dordrecht .

٥- A.ltrius , Biomedical Network , file://A\perfume-products-com 20% Information 20% about 20% perfume . htm .

٦- Bolster , M . G. Jansen, B.J. M. de Groot , A. Tetrahedron , 2001 , 57 , 5636-5679 .

٧- http://www.france.diplomatie.fr/label-france/ENG../parfum.htm.

٨- D. H> Pybus, C.S. Sell , The Chemistry of Fragrance, Published , 1999 , ISBN . –85404 – 528-70 .

الهوامش :

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٤٣٥).
(٢) انظر الصحاح (١/١٧٣) ، لسان العرب (٤/٢٧٣١).
(٣) أخرجه النسائي (٧/٦١/ برقم ٣٩٣٩). وقال الألباني : حسن صحيحٌ . صحيح السنن (٣/٨٢٧).
(٤) زاد المعاد (٤/٢٧٨).
(٥) أخـــرج الترمذي في جامعه (٣/٣٩١/ برقم ١٠٨٠) من حديث أبي أيوب ﷺ وقال: ((حسن غريب)).
(٦) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٧٦/ برقم ٤١٦٢).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢١٤/ برقم ٥٥٧٩).
(٨) أخـــرجه مسلم في صحيحه (٤/١٧٦٦/ برقم ٢٢٥٢) ، وابن خزيمة في صحيحه (٤/ ١٥٦/ برقم ٢٥٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري.
(٩) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٧٦٦/ برقم ٢٢٥٤)
(١٠) زاد المعاد (٤/٢٧٨).
(١١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٩١٢/ برقم ٢٤٤٣).
(١٢) أخرجه البزار كما في الفتح (١٠/٣٧١) قال الحافظ : وسنده حسن.
(١٣) أخرجه أبو داود في سننه (٤/٧٨/ برقم ٤١٧٢).
(١٤) عارضة الأحوذي (١٠/٢٣٦).
(١٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١/٣٠٠/ برقم٨٤٠).
(١٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٥٨١/ برقم ٨٤٦).
(١٧) أخرجه البخاري في صحيحه (١/٣٠١/ برقم ٨٤٣).
(١٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٢١٦/ برقم ٥٥٨٤).
(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/٥٥٨/برقم ١٤٦٥)، ومسلم في صحيحه (٢/٨٤٦/ برقم ١١٨٩).

(٢٠) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١١٩/ برقم ٣٠٨)، ومسلم في صحيحه (١/٢٦٠/ برقم ٣٣٢).

(٢١) لـنهي النبي ﷺ عـن تحنيطه كما في حديث ابن عباس الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤٢٥/ برقم ١٢٠٦)، ومسلم في صحيحه (٢/٨٦٥/برقم ١٢٠٦).

(٢٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤٢٢/ برقم ١١٩٥)، ومسلم في صحيحه (٢/٦٤٦ / برقم ٩٣٩).

(٢٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/٣٠١/برقم ٣٠٣١).

(٢٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٣٠٣/برقم ٢٠٠٨).

(٢٥) أخـرجه أبو داود في سننه (١/١٢٤/ برقم ٤٥٥) ، والترمذي في جامعه (٢/٤٩٠/ برقم ٥٩٥) وصححه.

(٢٦) أخرجه الترمذي في الجامع (٥/١٠٧/ برقم ٢٧٨٧).

(٢٧) أخـرجه البخاري في صحيحه (٥/٢١٩٨/برقم ٥٥٠٨)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٦٣/برقم ٢١٠١).

(٢٨) أخرجه أبوداود في سننه (٤/٧٩/برقم ٤١٧٣)، والترمذي في جامعه (٥/١٠٦/ برقم ٢٧٨٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢٩) سنن أبي داود (٤/ ٤٨/ برقم ٤٠٤٨) .